نحو تدبر أعمق لآيات القرآن الكريم

أ.د/ محمد عمارة(*)

شهر رمضان هو الشهر الوحيد الذي ورد اسمه في القرآن الكريم، وذلك على الرغم من أنه ليس واحدًا من الأشهر الحرم ذات المكانة المتميزة في الأمن والسلام..

وعندما ذكر القرآن شهر رمضان لم يذكره باعتباره الوعاء الزمني لفريضة الصيام - أحد الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام - وإنما ذكره باعتباره الشهر الذي أنزل فيه القرآن:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥)

فكان تعريفه وتشريفه بنزول القرآن فيه، ثم جاءت فريضة صيامه احتفاء واحتفالًا بنزول القرآن فيه:

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾

ولأن القرآن هو «الرحم» الذي ولدت من بين دفتيه الأمة الإسلامية - ووجودها وعقيدتها وشريعتها وقيمها وحضارتها - كان رمضان - في الحقيقة - هو عيد ميلاد هذه الأمة الخاتمة الخالدة، الوارثة لكل مواريث النبوات والحضارات والأمينة على هذه المواريث حتى يرث الله الأرض ومن عليها..

ولهذه الحقيقة كان للقرآن مكان متميز دائمًا وأبدًا في شهر رمضان.. مكان الذروة بين الشهور على امتداد التاريخ.

● وفي رمضان هذا العام - ١٤٤٠ هـ سنة ٢٠١٩م - عنَّ لي أن أقرأ القرآن بطريقة متميزة عن القراءات الدائمة والمستمرة عبر العمر الذي صحبت فيه القرآن منذ تعلمت فيه القراءة والكتابة وحتى أنجزت فيه وحوله أكبر مشروع فكري في واقعنا المعاصر.. عنَّ لي أن أقرأ القرآن مستعينًا على المزيد من التدبر والتفكر والتذكر بأعظم كتاب كتب في فن التعريف بمفردات غريب القرآن الكريم (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ - ١١٠٩م) والذي يكشف لقارئ القرآن عن المعاني والدلالات المستكنة التي تحملها مفرداته الغريبة عن المعاني الشائعة في الثقافة العامة المنتشرة بين الناس..

إن قارئ القرآن قراءة التدبر لن يكتشف آفاق هذا التدبر إلا إذا وقف إزاء كل كلمة من المفردات الغريبة فاكتشف الأسرار الغائبة عن المعاني الشائعة لهذه المفردات.. وعند ذلك سيعرف معنى أن هذا الكتاب لا تنقضي عجائبه:

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ

(*) عضو هيئة كبار العلماء.

﴿كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾

(الكهف: ١٠٩)

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(لقمان: ٢٧)

● ولقد كانت حصيلة هذه القراءات ـ قراءة القرآن بمصاحبة كتاب الراغب الأصفهاني (المفردات في غريب القرآن) ـ بمثابة إضافة نوعية في تدبر هذا الكتاب الحكيم الذي عشت معه منذ بواكير الحياة.. لقد كشفت لي هذه القراءة آفاقًا آثرت أن أشرك معي فيها جماهير الذين يتحلقون ـ صباح مساء ـ حول آيات القرآن الكريم، وذلك بتقديم نماذج من المفردات ذات المعاني الغريبة التي حملت وتحمل معاني متميزة عن معانيها الشائعة في الثقافة العامة، والتي تضع عقل القارئ أمام آفاق من الإعجاز اللغوي المبهر للقرآن الكريم..

إن القرآن قد نزل بالحرف العربي المعروف.. ومع ذلك مثَّل إعجازًا لكل الذين يستخدمون هذا الحرف العربي المعروف.. كما مثل الرسم المتميز لكلماته لونًا من الإعجاز في المعاني والدلالات أفاضت فيه مباحث الإعجاز.. وكذلك كان الأمر مع معاني المفردات الغريبة التي تميزت عن معانيها في الثقافة العربية الشائعة بين الناس..

● ولأن هذا البحر لا يعرف الحدود ولا الشواطئ ولا السدود.. فإن ضرب الأمثال إنما يمثل سبيلًا لدعوة قراء القرآن إلى النظر في آياته بصحبة معاني غرائب المفردات؛ وذلك للعروج إلى عوالم المعاني التي تتدفق دائمًا وأبدًا إلى وجدان القارئ لهذا الكتاب الحكيم.

وعلى سبيل المثال:

١- فإن كلمة (البرهان) في الثقافة العامة إنما تعني مطلق الدليل.. لكنها في القرآن الكريم تعني (أوكد الأدلة) وليس مطلق الدليل.. والأدلة إنما تأتي على خمسة أنواع:

أ- دلالة تقتضي الصدق أبدًا، وهي البرهان:

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾

(البقرة: ١١١)

ب- ودلالة تقتضي الكذب أبدًا.

جـ- ودلالة هي إلى الصدق أقرب.

د- ودلالة هي إلى الكذب أقرب.

هـ- ودلالة هي إليهما سواء.

٢- وكلمة (الظن) تطلق في القرآن على درجات متعددة تبدأ من (الوهم) وتتدرج ـ صعودًا ـ حتى تصل إلى (العلم).. فالظن اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت هذه الأمارة أدت إلى (العلم) ومتى ضعفت جدًّا لم تتجاوز (الوهم) وإذا استعمل مع لفظ (الظن) (أن) المشددة أو (أن) الساكنة دل على القوة.. فالظن في

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾

(البقرة: ٤٦)

معناه (اليقين)، وكذلك في:

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾

(الأنبياء: ٨٧)

٣- والناس لا يميزون بين معنى (النبأ) ومعنى (الخبر).. ووكالات (الأنباء) هي وكالات (الأخبار).. وكذلك الحال مع وسائل الإعلام.. بينما يتفرد القرآن الكريم بتمييز معنى (النبأ) عن معنى (الخبر).. (فكل نبأ هو خبر.. وليس كل خبر يسمى نبأ)، ذلك أن النبأ هو الجامع لعدة شروط:

أـ أن يكون ذا فائدة عظيمة.

ب ـ وأن يحصل به علم.

جـ ـ أو غلبة ظن.

فاجتماع هذه الشروط الثلاثة في الخبر يجعله نبأً وإلا كان مجرد خبر من الأخبار.

٤- والناس يعتقدون أن (اللمم) هي صغائر الذنوب التي لم يرد فيها حد من الحدود ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ (النجم: ٣٢)

بينما المعنى القرآني لهذا (اللمم) هو مقاربة الذنب دون ارتكابه ومواقعته.

٥- والشائع في الثقافة أن (الجهل) هو المقابل (للعلم) بينما يكشف القرآن الكريم عن أن للجهل مستويات ثلاث:

أ- خلو النفس من العلم.

ب- واعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

جـ- وفعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادًا صحيحًا أو فاسدًا.

٦- ومصطلح (الحق) يعني في الثقافة العربية العامة: المطابقة للواقع.. بينما نجد لهذا المصطلح في القرآن الكريم أربع تنوعات ودرجات:

أ- فهو يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة فيكون اسمًا من أسماء الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ (الأنعام: ٦٢)

ب- ويطلق على الشيء الموجود بحسب مقتضي الحكمة: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ (يونس: ٥)

جـ- ويقال في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (البقرة: ٢١٣)

د- ويقال للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب، وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ (يونس: ٣٣)

٧- وفي الثقافة العربية العامة تطلق كلمة (الزبور) على الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام بينما يكشف المعنى القرآني لهذه الكلمة عن أن المراد بها هو الكتاب الذي تضمن (الحكمة) وخلا من (الأحكام).

٨- وفي الثقافة العربية العامة تسوية بين (العقل) وبين (اللب) فذوو العقول هم أولو الألباب.. أما في معاني مفردات غريب القرآن فإن اللب أخص من العقل.. فالعقل هو مطلق فعل التعقل، بينما اللب هو العقل الخالص من الشوائب، فكل لب عقل وليس كل عقل لبًّا: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر: ٩)

❋❋❋

تلك إشارات ـ مجرد إشارات ـ إلى نماذج ـ مجرد نماذج ـ لما يكشف عنه علم غرائب مفردات القرآن الكريم من الآفاق التي تزيد من درجات التدبر والتفكر والتذكر لدى قارئ هذا الكتاب الحكيم..

ولقد آثرنا أن نقدم بهذه الإشارات بين يدي قائمة مختارة من هذه المفردات التي تلفت الأنظار وتجتذب العقول إلى هذا الفن من فنون خدمة القرآن الكريم، رتبناها أبجديًا.. وخرجنا الآيات الواردة فيها، سائلين المولى ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينفع بها.. إنه خير مسئول وأكرم مجيب.

(أ)

● أكدى: الكدية: صلابة في الأرض، حفر فأكدى: وصل إلى صلابة في الأرض. واستعير

للطالب المخفق والمعطي المقل

﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴾

(النجم: ٣٤)

● الإثم: الفعل المبطئ عن الثواب

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

(البقرة: ١٧٣)

● الإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

(المائدة: ٧٥)

أي يُصرفون عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل ومن الصدق في المقال إلى الكذب ومن الجميل في الفعل إلى القبيح.

● الأزْر: القوة الشديدة

﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾

(طه: ٣١)

● الإملاق: الفقر

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾

(الأنعام: ١٥١)

● أخلد: - إلى الأرض -: ركن إليها ظانًّا أنه يخلّد فيها

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾

(الأعراف: ١٧٦)

● الإل:

كل حالة ظاهرة من عهد خلف أو قرابة تئِلّ تلمع فلا يمكن إنكاره.

﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾ (التوبة: ١٠)

اقترف: اكتسب اكتسابًا حسنًا كان أو سوءًا. وهو في الإساءة أكثر استعمالًا

﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾

(الأنعام: ١١٣)

● الإخبات: الخضوع والليـن والتواضع والخشوع

﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾

(هود: ٢٣)

● الاجتباء: الجمع على طريق الاصطفاء

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ﴾

(القلم: ٥٠)

● الإنغاض: الإمالة - إمالة الرأس نحو الغير متعجبًا

﴿فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾

(الإسراء: ٥١)

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴾

(الإسراء: ٦٢)

لأستولين عليهم.

● الإلحاد: الميل عن الحق. وهو ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله. وإلحاد إلى الشرك بالأسباب. والأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني يوهن عراه

﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾

(الأعراف: ١٨٠)

● الأمر: الشأن

﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾

(البقرة: ٢٧٥)

.. والأمر: الإبداع

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾

(الأعراف: ٥٤)

ويختص ذلك بالله

﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾

(الإسراء: ٨٥)

.. والأمر: التقدم بالشيء

﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾

(يوسف: ١٨)

وأَمِرَ القومُ: كثروا فصار لهم أمير. والائتمار: قبول الأمر. والائتمار: الشورى، لقبول بعضهم أمر بعض

﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾

(القصص: ٢٠)

والأمر: المنكر

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾

(الكهف: ٧١)

● الأزّ: صوت القدر إذا أزت – اشتد غليانها..

﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾

(مريم: ٨٣)

● الأُفّ: كل مستقذر

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾

(الإسراء: ٢٣)

● الإبلاس: الحزن المعترض من شدة اليأس

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾

(الروم: ١٢)

وأبلس فلان: إذا سكت وانقطعت حجته.

● أصيل وأصيلة: العشية

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾

(الفرقان: ٥)

والجمع: آصال

﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾

(الأعراف: ٢٠٥)

● الإحاطة:

﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ تُمنعوا

(يوسف: ٦٦)

● الأيد: القوة في الدين والعبادة

﴿ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (ص: ١٧)

● الأتراب:

اللدات تُنشّأن معًا، تشبيهًا في التماثل والتساوي بالترائب

﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (الواقعة: ٣٦، ٣٧)

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ (ص: ٥٢)

والترائب ضلوع الصدر

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ (الطارق: ٧)

● أزف: دنا. والآزفة: القيامة

﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ﴾ (النجم: ٥٧)

● الاجتراح: اكتساب السيئات

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾

(الجاثية: ٢١)

● أَسَنَ الماء: تغير ريحه تغيرًا منكرًا

﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ (محمد: ١٥)

● الأزر: القوة الشديدة

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾

(الفتح: ٢٩)

● الأشر: شدة البطر

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾

(القمر: ٢٦)

● الأُجاج: الماء شديد الملوحة والحرارة

﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾

(فاطر: ١٢)

● الأب: المرعى المتهيئ للرعي والجزّ

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ (عبس: ٣١)

● الانكدار: تغير في انتثار الشيء

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ (التكوير: ٢)

● الأثل: شجر ثابت الأصل

﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (سبأ: ١٦)

(يتبع)